

الأربعون^٥ المقدية

المجلس الخامس

السنة العائورة
في شرح حديث الصورة

أبرهه إسرابعيل



**** بسم الله الرحمن الرحيم ****

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)

(آل عمران/١٠٢)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء/١)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا
(الأحزاب/٧٠/٧١)

أما بعد ،

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى ، هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثه بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

**** نص الحديث :**

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :
خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ، وَطَوَّلَهُ سِتُونَ ذِرَاعًا ، ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَاسْتَمِعَ مَا يُحْيُونَكَ ، تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ ، فَقَالَ

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَادُوهُ:
وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ
حَتَّى الْآنَ .

تخریج الحديث :

أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام (٦٢٢٧)، ومسلم، كتاب
الجنة، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير (٤ / ٢١٨٣) برقم
(٢٨٤١)

وفيات مع فوائد حديث الباب :

١- الفائدة الأولى :

قول النبي صلى الله عليه وسلم : " خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ " :
اختلف العلماء في مرجع الهاء في قوله " صورته " ، هل الهاء تعود على
الله عز وجل ، أم تعود على آدم عليه السلام ؟

(١) القول الأول :

يُروى عن الإمام مالك -رحمه الله- أنه كان ينهى عن التحديث بهذا
الحديث، وكان ينكر من يحدث به وينهى عن التحديث بحديث الصورة .
فقد كان مالك -رحمه الله- يُعَظِّمُ أَنْ يُحَدِّثَ أَحَدٌ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا:
أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ، وَضَعَّفَهَا^١.

^١ أصول السنة لابن أبي زَمَنِين المالكى (ص/٧٥) وقد ذكرنا لفظة "يُروى" عند الكلام عن قول
الإمام مالك ؛ وذلك لأن الإسناد إليه في ذلك فيه مقال ، فهو مروى عن مقدم بن داود ، وقد تكلم
بعض الأئمة في هذا الرواى .

* ونهى مالك -رحمه الله- عن التحديث بحديث الصورة -على تقدير ثبوت عنه - فلعله كان
يخشى أن يكون في التحديث بذلك فتنة لبعض الناس ، فيشبهون الله بخلقه ، أو يتأولون الحديث
بما يوافق أقوال الجهمية ، وهذا الذي رجحه ابن عبد البر ، حيث قال : وإنما كره ذلك مالك =

((٢) القول الثاني :

أن الهاء هنا تعود على آدم عليه السلام .

قالوا : أن الضمير يعود لأقرب مذكور، وهو آدم عليه السلام .

** كما أن " السياق من المقيدات والمرجحات " ففي الحديث " خَلَقَ اللَّهُ

آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ، وَطَوَّلَهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا " ، فالجملة الثانية قد بُنيت على

الأولى ، والمعنى : أن آدم -عليه السلام - له ميزة عن سائر الخلق .

فسائر الخلق يجرى عليهم قوله تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ

طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً

فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) (سورة

المؤمنين/١٣)

أما آدم -عليه السلام - فقد خلقه الله - تعالى - على صورته التي هو

عليها ستون ذراعاً، فلم يمر بأطوار الخلق التي مر بها سائر الخلق من

بعده .^٢

(٣) القول الثالث :

قالوا أن الهاء تعود على الله عزوجل ، ويقولون الصورة هي وصف لآدم

=خشية الخوض في التشبيه وكيف اهـ

وقد روى مسلم عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه

عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : الشيء قد يمنع سماعه لبعض الجهال وإن كان متفقاً عليه بين

علماء المسلمين .

وانظر التمهيد لما في الموطأ من المعاني (١٥٠/٧) وبيان تلبيس الجهمية (٤٤٥/٦) والأسانيد

الضعفاء الكبير (٢٥١/٢) وعقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن (ص/١٠)

^٢ مع العلم فإن أصحاب هذا القول ينفون صفة الصورة عن الله من باب التنزية ، وانظر فتح

الباري (٣/١١) ومشكل الحديث وبيانه (ص/٥٢) وأقويل الثقات في تأويل الأسماء

والصفات (ص/١٦٨)

عليه السلام ، وإنما أضاف الله -عزوجل- صورة آدم - عليه السلام -
إلى نفسه إضافة تشريف ، أو ملكية ، وممن قال بذلك ابن خزيمة
والبيهقي وابن حزم .^٣

٤) القول الرابع :

وهو الراجح الصحيح الذي عليه أهل جمهور أهل السنة ، والذي نسبه شيخ
الإسلام ابن تيمية إلى جمهور السلف : أن الهاء تعود على الله عزوجل ،
وأن ذلك يقتضى القول بظاهر الحديث مع إثبات صفة الصورة لله عزوجل
على ما يليق به سبحانه .

فالقول بأن الله خلق آدم -عليه السلام- على صورة الله -عز وجل-
لا يلزم من ذلك المماثلة ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: " إن أول زمرة
تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر " ^٤

^٣ قال ابن خزيمة : فصورة آدم ستون ذراعاً، التي أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن آدم -عليه
السلام- خلق عليها، لا على ما توهم بعض من لم يتحر العلم، فظن أن قوله: «**على صورته**»
صورة الرحمن، صفة من صفات ذاته جل وعلا، قد نزه الله نفسه وقُدس عن صفات المخلوقين،
فقال: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} [الشورى: ١١]، وإنما إضافة الصورة إلى
الرحمن هو إضافة الخلق إليه؛ لأن الخلق يضاف إلى الرحمن؛ إذ الله خلقه، وكذلك الصورة
تُضاف إلى الرحمن؛ لأن الله صورها.
وانظر كتاب التوحيد لابن خزيمة(ص/٩٣) وممن قال بقول ابن خزيمة: البيهقي في كتابه
{الأسماء والصفات}.

* وقال ابن حزم :

وكذلك القول في الحديث الثابت خلق الله آدم على صورته فهذه إضافة ملك يريد الصورة التي تخيره الله سبحانه
وتعالى ليكون آدم مصوراً عليها وكل فاضل في طبقة فإنه ينسب إلى الله -عز وجل- كما يقول بيت الله تعالى
عن الكعبة والبيوت كلها بيوت الله تعالى اهـ
وانظر الفصل في الملل والأهواء والنحل(٢/١٢٨) وإيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل(ص/١٥٥)
التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٢/٢٩)

***** وهنا تنبيه مهم :**

فارق بين من يحمل إضافة الصورة - في قوله: «على صورته» - إلى الله تعالى- على سبيل التشريف - هو
أحد الأوجه التي قال بها الشيخ العثيمين - مع إثبات صفة الصورة لله من النصوص الأخرى ، وبين من يحملها
على ذلك نفياً لصفة الصورة عن الله عزوجل .
^٤ متفق عليه.

فمراده -صلى الله عليه وسلم- أن أول زمرة هم على صورة البشر ، ولكنهم في الوضاعة والحسن والجمال واستدارة الوجه ، وما أشبه ذلك على صورة القمر ، فصورتهم فيها شبهة بالقمر ، لكن بدون مماثلة .
- فتبين أنه لا يلزم من كون الشيء على صورة الشيء أن يكون مماثلاً له من كل وجه ، ولا يلزم أن يكون على مثل صورة القمر .

**** وقال شيخ الإسلام في رده على الرازي في تأويله للحديث:**

لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله ؛ فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة ، وسياق الأحاديث كلها تدل على ذلك ، وهو أيضاً مذكور فيما عند أهل الكتابين ، حتى ظهر الجهمية فزعموا نسبة الهاء لآدم عليه السلام ؛ تنزيهاً لله عن صفة الصورة .^٥

*** لما سئل الإمام أحمد -رحمه الله- عن حديث الصورة ، وهل الهاء تعود لغير الله عز وجل ؟؟؟**

فقال : من قال ذلك فهو جهمي ، وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه الله ؟!!^٦

**** قال ابن قتيبة :**

والذي عندي -والله أعلم- أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع

^٥ بيان تلبيس الجهمية (٣٥٦/٢) وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على من زعم أن الهاء تعود على آدم-عليه السلام- من ثلاثة عشر وجهاً ، وانظر تلبيس الجهمية (٣٤٦/٢)
^٦ "طبقات الحنابلة" (٢ / ٣٣٦) وفي رواية " قال إبراهيم بن أبان الموصلي: سمعت أبا عبد الله، وجاءه رجل فقال: إني سمعت أبا ثور يقول: إن الله خلق آدم على صورة نفسه. فأطرق طويلاً، ثم ضرب بيده على وجهه، ثم قال: هذا كلام سوء، هذا كلام جهم، هذا جهمي، لا تقربوه. "طبقات الحنابلة" (١ / ٣٣٦)

والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها ، ووقعت الوحشة من هذه ، لأنها لم تأت في القرآن . ونحن نؤمن بالجميع ، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد . اهـ.^٧

**** يؤيده :**

أن الناظر في كتب الأئمة التي ألفوها لبيان صفات الله عزوجل يجد أكثرهم أورد فيها هذه أحاديث . فقد أوردها ابن أبي عاصم في السنة ، والآجري في الشريعة، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة، والدارقطني في الصفات ، وعبد الله ابن الإمام أحمد في السنة .
ولا معنى لإيرادهم لهذه الأحاديث إلا إثباتهم لمدلولها، وهو أن الله -تعالى- يوصف بأن له صورة لا كالصور، وأن آدم -عليه السلام- خُلق على صورة الرحمن عزوجل، إذ ليس في هذه الأحاديث مما يتعلق بصفات الله عزوجل إلا هذين المدلولين ، وهم أئمة ناقدون بصيرون متبوعون، فلو كان لهم فيها رأي أو قول يخالف مدلولها أو شك في صحتها لبيّنوه .^٨

فرع :

هناك رواية صحيحة تحسم هذا النزاع ، رواية يرويه ابن أبي عاصم في

^٧ تأويل مختلف الحديث(ص/٣٢٢)

^٨ الانتصار في الرد على المعتزلة لأبي الحسين العمراني بتحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف(٦٢٧/٢)

كتاب السنة ورواها الحاكم ورواها الاجري فى الشريعة ، هذه الرواية
(إن الله خلق آدم على صورة الرحمن)^٩

^٩ والحديث رواه عبدالله بن أحمد فى " السنة/498 "، وابن أبى عاصم فى " السنة/529 "، وابن خزيمة فى " التوحيد(1/85) "، والدارقطنى فى " الصفات(45، "، 48)، وغيرهم من طريق جرير = عن الأعمش، عن حبيب بن أبى ثابت، عن عطاء، عن ابن عمر مرفوعاً (لا تقبّحوا الوجه؛ فإنّ الله خلق آدم على صورة الرحمن)
عُمدة من ضعف هذا الحديث هو ابن خزيمة - رحمه الله - فى كتاب "التوحيد" ٨٧/١ وقد أعلّاه بثلاث علل:

الأولى :أنّ الثوري قد خالف الأعمش فى إسناده فأرسّله.

الثانية :عننة الأعمش، وهى مردودة؛ لأنّه مدلس ما لم يصرّح بالسّماع من حبيب بن أبى ثابت.

الثالثة :لا يُعلم لحبيب بن أبى ثابت سماع من عطاء.

• ذكر من صحح الحديث:

أمّا بخصوص أنّ ابن خزيمة ضعفه، فقد صححه من هو أجلّ منه، وهما إسحاق بن راهويه وأحمد، ذلك لأن أحمد وإسحاق أعلم بالأسانيد والعلل ممن أقدم على تضعيف الحديث بغير مستند صحيح.

وكذلك قد صححه الذهبي، وابن حجر، و شيخ الإسلام ابن تيمية.

وأيضاً فإن عبد الله بن أحمد بن حنبل وابن أبى عاصم والدارقطنى والآجري قد رووا الحديث، وأمروه كما جاء ولم يتعرضوا لتضعيفه، ولو كان فى إسناده علة قادحة لما سكتوا عن بيانها، وخصوصاً الدارقطنى فإنه من أئمة الجرح والتعديل وأهل العلم بعلل الأحاديث.

*أما الجواب عن العلل التى ذكرها ابن خزيمة فالجواب عنها :

(١) فأما مخالفة الثوري للأعمش فإنها لا تؤثر فى رواية الأعمش لأن كلاً منهما حافظ إمام وشيخ من شيوخ الإسلام، قال ابن عيينة: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله وأحفظهم للحديث، وقال يحيى القطان: الأعمش علامة الإسلام وقال شعبة: ما شفاني أحد فى الحديث ما شفاني الأعمش . وقد كان أحمد يعلم إرسال الثوري، ولم يقدح فى الحديث عنده

(٢). وأما عننة الأعمش فى روايته عن حبيب بن أبى ثابت فإنها لا تؤثر فى صحة الإسناد لأن الأعمش معدود من المرتبة الثانية من المدلسين الذين احتمل الأئمة تدليسهم وأخرجوا لهم فى الصحيح لإمامتهم وقلة تدليسهم فى جنب ما رووا.=

= وأما عن عنة حبيب بن أبي ثابت في روايته عن عطاء فإنها لا تؤثر في صحة الإسناد لأن الظاهر أنه لم يدلس في هذه الرواية، ويدل على ذلك أنه كان يروي عن ابن عمر رضي الله عنهما مباشرة فلو كان قد دلس في هذا الحديث لكان جديراً أن يرويه عن ابن عمر رضي الله عنهما بدون واسطة بينه وبينه ليحصل له علو الإسناد.

* من جهة أخرى فللحديث شواهد تقويه:

أولها: عند ابن أبي عاصم (١/ ٢٢٧ - ٢٢٨): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ سِوَاءٍ، حَدَّثَنِي عَمِّي مُحَمَّدُ بْنُ سِوَاءٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ وَجْهِهِ))؛ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

الشيء الذي يمنع تفسير ضمير " على صورته " بآدم الذي جاء من حديث أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً: ((إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَّقِ الْوَجْهَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ)) = (2/512) غير أن الشيخ الألباني ضعف زيادة: "على صورة وجهه" وفي ذلك نظر؛ لأن الزيادة إذا كانت بياناً، وليس فيها نوع منافاة، فلا شدوذ فيها وهي مقبولة، كما قرره ابن الصلاح في "مقدمته"؛ قال في النوع الثاني من أنواع الزيادات قال: "ألا يكون فيه منافاة ومخالفة أصلاً لما رواه غيره..."

ثانيها: ما رواه ابن أبي عاصم (٥٣٣) من طريق ابن أبي مريم، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيْعَةَ عَنْ أَبِي يُونُسَ سَلِيمِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((مَنْ قَاتَلَ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ؛ فَإِنَّ صُورَةَ وَجْهِ الْإِنْسَانِ عَلَى صُورَةِ وَجْهِ الرَّحْمَنِ)).

وابن لهيعة وإن رُمي بسوء الحفظ، فحديثه يعتبر به، ويصلح في الشواهد والمتابعات.

وقد أخرج ابن أبي عاصم في "السنة (1/230) "والدأرقطني في" الصفات (49) "من طريق ابن لهيعة عن أبي يونس والأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ؛ فَإِنَّ صُورَةَ الْإِنْسَانِ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ - عَزَّ وَجَلَّ -)) وهذا إسناد رجاله ثقات، إلا ابن لهيعة وهو يصلح في الشواهد والمتابعات.

قال الحافظ في "الترهة": "ومتى توبع السيئ الحفظ بمعتبر، وكذا المستور والمرسل والمدلس - صار حديثهم حسناً، لا لذاته؛ بل بالمجموع."

لذا صحَّ الحديث كلُّ من الذهب في "الميزان" والهيثم في "مجمع الزوائد" وابن حجر العسقلاني في "الفتح"، ومن المعاصرين حماد بن محمد الأنصاري في رسالته "تعريف أهل الإيمان بصحة صورة الرحمن" وحمود التويجري في "عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن" والشيخ عبدالله الغنيمان في "شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري =

*تنبيه مهم :

ما يُروى عن قول الإمام مالك - رحمه الله - من كراهته لتحدث بأحاديث

الصورة ، فالجواب عنه من وجوه :

(١) أن الإسناد إليه في ذلك فيه مقال ، فهو مروى عن مقدم بن داود ، وقد تكلم بعض الأئمة في هذا الرواي .

(٢) أن نهي الإمام مالك - رحمه الله - عن التحديث بحديث الصورة - على تقدير ثبوت عنه - فلعله كان يخشى أن يكون في التحديث بذلك فتنة لبعض الناس ، فيشبهون الله بخلقه ، أو يتأولون الحديث بما يوافق أقوال الجهمية ، وهذا الذي رجحه ابن عبد البر ، حيث قال :

وإنما كره ذلك ملك خشية الخوض في التشبيه بكيف اهـ^{١٠}
وقد قال ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: (ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)^{١١}

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : الشيء قد يمنع سماعه لبعض الجهال ، وإن كان متفقاً عليه بين علماء المسلمين^{١٢}.

**** ولكن القول ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :**

واما إن قيل أن مالكاً كره التحديث بذلك مُطلقاً فَهَذَا مَرْدُودٌ عَلَى مَنْ قَالَه ؛ فقد حَدَّثَ بهذه الأحاديث من هم **أجلُّ من مالك** عند نفسه وعند

المسلمين كعبد الله بن عمر وأبي هريرة وابن عباس وعطاء بن أبي رباح، وقد حَدَّثَ بها نظرائه كسفيان الثوري والليث بن سعد وابن عيينة، والثوري أعلم من مالك بالحديث وأحفظه له^{١٣}.

" = منقول من (إثبات صفة الصورة لله جل وعلا) لعبد الجليل مبرور . وانظر عقيدة أهل الإيمان

في خلق آدم على صورة الرحمن (ص/٢٤)

^{١٠} التمهيد لما في الموطأ من المعاني (١٥٠/٧)

^{١١} مقدمة صحيح مسلم (١/١)

^{١٢} بيان تلبيس الجهمية (٤٤٥/٦) وقد ترجم البخاري لمثل هذا المعنى فقال رحمه الله : باب من ترك بعض الاختيار ، مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه ، فيقعوا في أشد منه ، وفي باب آخر قال : باب من خص بالعلم قوما دون قوم ، كراهية أن لا يفهموا ، وأورد بعد قول علي :

«حدثوا الناس، بما يعرفون أتحبون أن يكذب، الله ورسوله وانظر الضعفاء الكبير (٢/٢٥١)

وعقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن (ص/١٠)

^{١٣} الفتاوى الكبرى (٦/٦٢٠)

فرع : معنى الصورة :

الصورة في اللغة :

الشكل والهيئة والحقيقة والصفة. فكل موجود لا بد أن يكون له صورة .
قال ابن الأثير: الصُّورة تُرد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنَى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته.^{١٤}

فأهل السنة قد أثبتوا صفة الصورة لله - عزوجل - على ظاهرها ، وقالوا
بمعناها على مقتضاها في لغة العرب .

فالصورة في اللغة غير مجهولة ، وكيفيتها غير معقولة ، والإيمان بها
واجب ، والسؤال عنها بدعة ، وإنما لم يتعرض السلف للكلام عن كيف ،
لأن كيف مجهول .

** أما نقل عن بعض الأئمة من القول بتفويض معنى الصورة ، كالنووي
والذهبي^{١٥} ، فهو خلاف ما ثبت عن جماهير السلف .

فالصورة ليست حروفاً لا يُعلم معانيها ، كما يقال -مثلاً- في الحروف
المقطعة " ألف لام ميم " أو " عسق " .

بل الصورة في اللغة معلومة . وأما المفوضة فقد جعلوا الصفات -ومنها

^{١٤} النهاية (٥٩/٣).

^{١٥} قد نص النووي أن جمهور السلف عى ترك التعرض لمعنى الصورة ، حيث قال رحمه الله:
(فإن الله خلق آدم على صورته) هو من أحاديث الصفات ، وأن من العلماء من يمسك عن تأويلها
، ويقول نؤمن بأنها حق ، وأن ظاهرها غير مراد ، ولها معنى يليق بها ، وهذا مذهب جمهور
السلف وهو أحوط وأسلم. اهـ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج(١٦٦/١٦)
وممن قالوا بذلك الإمام الحافظ الذهبي في كتابه (ميزان الاعتدال)قال:
"أما معنى حديث الصورة ، فنرد علمه إلى الله ورسوله، ونسكت كما سكت السلف ، مع الجزم بأن
الله ليس كمثل شيء". اهـ.

وفي موضع آخر في كتابه (سير أعلام النبلاء) قال عقب حديث الصورة: فنؤمن ونفوض ، ونسلم
ولا نخوض فيما لا يعيننا ، مع علمنا بأن الله ليس كمثل شيء". اهـ.

** وكذلك قال صاحب تحفة الأحوذى : ذهب السلف في أمثال هذا الحديث إذا صح أن يؤمن
بظاهره ولا يفسر بما يفسر به صفات الخلق بل ينفي عنه الكيفية ويوكل علم باطنه إلى الله تعالى
تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى (٧٣/٩) وكل هذا كلام فيه نظر .

صفة الصورة- من حيث المعنى كالحروف المقطعة .

وقد نص الإمام الأجرى على صحيح قول جماهير السلف في صفة الصورة، فقال :

هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها ، ولا يقال فيها : كيف ؟ ولم ؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق ، وترك النظر ، كما قال من تقدم من أئمة المسلمين. اهـ^{١٦}

***** إذا كان هذا هو القول الراجح ، فما تأويل الحديث ؟**

الجواب :

أن الله -تعالى - خلق آدم -عليه السلام- على صورته : أى على صورة الله عز وجل ، ولكن ليست الصورة كالصورة ، فله صورة ، وله وجه وله يد وله عين ، والله عز وجل خلق آدم على صورته، ولكن ليس اليد كاليد وليست العين كالعين ، وليس الوجه كالوجه ، والقاعدة هنا أن

" التساوى فى الاسم لا يستلزم التساوى فى المسمى "

***** وكذلك فإن " مطلق المشابهة لا تستلزم المشابهة المطلقة "**

فوجود مشابهة بين الله وبين عباده فى الأسماء لا يستلزم المشابهة المطلقة الكاملة ذات المسمى .

فقوله صلى الله عليه وسلم " " خلق آدم على صورته " فهذا يقتضى نوعاً من المشابهة، ولا يقتضى تماثلاً فى حقيقة ولا قدر .
ومن المعلوم أن الشيين المخلوقين قد يكون أحدهما على صورة الآخر مع التفاوت العظيم بين جنس ذواتهما وقدر ذواتهما.

**** قال ابن عباس رضي الله عنهما :**

لا يشبه شيء مما فى الجنة ما فى الدنيا إلا فى الأسماء " ، وفى رواية :

^{١٦} وانظر الشريعة (رقم/٧٢٥)

" ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء" ^{١٧}

فإذا كانت المشابهة بين ما في الدنيا والجنة لا تكون إلا في الأسماء فقط ، وهي مخلوقات من خلق الله عز وجل ، فما بالك بالفارق بين الخالق والمخلوق !!!؟

فالذين يفرون من حديث الصورة لم يعرفوا من إثبات الصفات إلا ما كان لازمه التشبيه ، ففروا من الإثبات فوقوا في التعطيل .

وعندنا في حديث أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ، هل معنى ذلك أنهم يدخلون في صورة القمر لا رؤوس لهم ولا عيون ولا ملامح !!!؟

3-الفائدة الثالثة :

إثبات الصورة لله عز وجل ، وهي صفة ذاتية خبرية لله عز وجل ، وقد ثبتت بالسنة والإجماع ، ومن أدلة ثبوتها :

١- **حديث الباب** ، وذلك على ما ذكرنا أن الهاء -على الراجح- تعود على الله عزوجل ، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم " **خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صورته** " وما ذكرناه من صحة رواية " **على صورة الرحمن** "

٢- وعن ابن عباسٍ، -رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملاء الأعلى ؟** ^{١٨}

^{١٧} رواه ابن جرير في تفسيره (٦٦/١) ، وصححه الألباني في "صحيح الترغيب" (٣٧٦٩) ^{١٨} أخرجه أحمد (٣٤٨٤) والترمذي (٣٢٣٣) ، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح» سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث، فقال: «هذا حديث حسن صحيح».

قال أبو يعلى: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رَأَيْتَ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ) :
هذا فيه جواز إطلاق الصورة على الله تعالى.^{١٩}

٣- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟
فَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: ((هَلْ تَضَارُونَ فِي رُؤْيَا الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟))
قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ... وَفِيهِ:
(يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعْ مَنْ
كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ
الطَّوَاغِيَةَ الطَّوَاغِيَةَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مَنَاقِفُهَا، فَيَأْتِيهِمْ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -
فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا
مَكَانُنَا يَا تَبْنِيْنَا رَبَّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَا، فَيَأْتِيهِمْ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي صُورَتِهِ الَّتِي
يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ:
أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا، فَيَتَّبِعُونَهُ.^{٢٠}

**** قال شيخ الإسلام ابن تيمية :**

لفظ الصورة في الحديث كسائر ما ورد من الأسماء والصفات ، التي
قد يسمى المخلوق بها ، على وجه التقييد ، وإذا أطلقت على الله اختصت به
، مثل العليم والقدير والرحيم والسميع والبصير ، ومثل خلقه بيديه ،
واستواءه على العرش ، ونحو ذلك .²¹

**** قال أبو محمد ابن قتيبة :**

والذي عندي - والله تعالى أعلم - أن الصُّورَةَ ليست بأعجب من اليدين
والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت
الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في
شيء منه بكيفية ولا حد .^{٢٢}

فرع :

وهنا مسألة من الأهمية بمكان وهي:

^{١٩} إبطال التأويلات (١/ ١٢٦)

^{٢٠} أخرجه البخاري (٦٥٧٣) ومسلم (١٨٢)

^{٢١} نقض التأسيس (٣/ ٣٩٦)

^{٢٢} (تأويل مختلف الحديث/ ٢٦١)

أن مخالفة إمام من أئمة أهل السنة لجماهير العلماء في إثبات صفة ما لا يعد قدحاً في ذلك الإمام ، ولا يخرجُه عن كونه من أئمة السنة و الجماعة ، وإلا فلو أن كل عالم توقف فيه العلماء لزلة لما سلم لنا عالم .
لذا فلا بد هنا من التفريق بين إمام من أئمة السنة نفي صفة عن الله - عزوجل - باجتهاد قد أداه إلى ذلك ؛ لكونه رأى أن هذا الدليل بعينه ليس صريحاً في إثبات تلك الصفة ، مع كونه متفقاً مع أهل السنة في إثبات سائر الصفات لله عزوجل .

وبين من جعل نفي الصفات كليةً أصلاً يركن إليه ، بل ويطعن فيمن أثبت الصفات الألهيّة ، ويرميه بالتجسيم والتشبيه .^{٢٣}
***** وتطبيق ذلك:**

^{٢٣} قال شيخ الإسلام ابن تيمية :
ومثل هؤلاء إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولاً يفارقون به جماعة المسلمين؛ يوالون عليه ويعادون؛ كان من نوع الخطأ. والله يغفر للمؤمنين خطأهم في مثل ذلك. (مجموع الفتاوى (٣/٤٩٣))
هذه إشارة إلى معنى في فقه السلف -رحمهم الله - لأحكام المخالفين، وهو أن :
من اختص ببدعة من البدع ونصبها شعاراً يوالي ويعادي عليه، وفارق به الإجماع الذي عليه الصحابة -رضي الله عنهم - فهذا الانتصار لا يكون إلا من طرق أهل البدع الخارجين عن السنة والجماعة، وهؤلاء في الجملة على قدر من التفريط والتقصير في تحقيق ما يجب عليهم من العلم والعمل.
* وذلك يخالف من ورد من أقوال لبعض الأعيان من أهل السنة هي من البدع المخالفة للإجماع، وقد عرض له شيء من الخطأ في بعض مقامات أصول الدين عروفاً قد يخفى فيما هو من مثل هذا.
فهذا وإن كان قوله الذي عرض له بدعة مخالفة للإجماع، وقد أنكره السلف وشددوا فيه إلا أن صاحبه لا يخرج به عن السنة والجماعة، ويصبح من أصحاب البدع، بل يعد من أصحاب السنة على هذا القدر من التعليق في شأنه.
ويكون خطأه في الجملة من باب الخطأ الذي اجتهد فيه.
والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) كما في حديث عمرو بن العاص في الصحيحين.
وهذا يعني: أن ثمة أقوالاً هي في الأصل من أقوال أهل البدع والضلال عرضت لبعض الفضلاء من الفقهاء أو من أصحاب السنة والجماعة، فهذه الأقوال وإن سماها السلف بأسماء إلا أن من عرضت له لا يجوز أن يسمى بأسماء هذه الكلمات.
فلا يلزم من تسمية السلف لهذه أن من عرضت له هذه الكلمات يسمى بهذه الأسماء من جهة الخروج من السنة، فضلاً عن جهة التكفير، فضلاً عما هو فوق ذلك كالمآلات في الآخرة.
(ذكره يوسف الغفيص تعليقا على كلام شيخ الإسلام السابق)

ما نص عليه العلماء من مخالفة الإمام ابن خزيمة في تأويله لحديث الصورة تأويلاً قد خالف فيه جماهير السلف ؛ لإجتهد منه في ذلك ، مع كونه موافقاً لجماهير السلف في أصل إثبات الصفات الألهمية .^{٢٤}

*** فقد نص الإمام أحمد رحمه الله لما سُئِلَ عن حديث الصورة، ومن يقول فيه: إن الله خلق آدم على صورته -أي: على صورة آدم- أو على صورة المصروب أو نحو ذلك؛ قال: "هذا قول الجهمية".

ومع هذا فإن إمام الأئمة ابن خزيمة -رحمه الله- عرض له هذا القول، ولم يكن تجهماً من ابن خزيمة، ولا يجوز أن يسمى جهمياً، ولا أن يقال: إن حكمه حكم الجهمية، ولا أن يقال: إنه يذم بما ذم السلف به الجهمية إلى أمثال ذلك .

وإن كان قول ابن خزيمة - رحمه الله- ليس من أقوال أهل السنة، وإنما دخل عليه من أقوال أهل البدع، فإن أهل السنة قولهم في هذا معروف محفوظ ..

**** وقد اعتر له الإمام الذهبي ، فقال رحمه الله:**

ولابن خزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب؛ لعلمه ودينه واتباعه السنة. وكتابه في (التوحيد) مجلد كبير، وقد تأول في ذلك حديث الصورة فليعذر من تأول بعض الصفات، وأما السلف، فما خاضوا في التأويل، بل آمنوا وكفوا، وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده - مع صحة إيمانه، وتوحيه لاتباع الحق - أهدرناه، وبدعناه، لقلّ من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنه وكرمه.^{٢٥}

*** وقد ونقل شيخ الإسلام عن الحافظ أبي موسى المدني فيما جمعه من مناقب الإمام الملقب بقوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي ،صاحب كتاب {الترغيب والترهيب} ،قال: سمعته يقول :
أخطأ محمد بن إسحاق بن خزيمة في حديث الصورة ،ولا يطعن عليه بذلك ،بل لا يؤخذ عنه فحسب ،قال أبو موسى :

^{٢٤} قال ابن خزيمة بعد أن أورد أحاديث الصورة : " توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله: " على صورته " يريد صورة الرحمن " ، عز ربنا وجل عن أن يكون هذا معنى الخبر.

(التوحيد لابن خزيمة(ص/ ٨٤))
^{٢٥} سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٦)

أشار بذلك إلى أنه قلّ من إمام إلا وله زلة ، فإذا ترك ذلك الإمام لأجل زلته
ترك الكثير من الأئمة ، وهذا لا ينبغي أن يفعل. اهـ. ٢٦ .

قال الشاطبي :

زلة العالم لا يصح اعتمادها، ولا الأخذ بها تقليدا له وذلك؛ لأنها موضوعة

على المخالفة للشرع ، كما أنه لا ينبغي أن ينسب صاحبها إلى التقصير،

ولا أن يشنع عليه بها، ولا ينتقص من أجلها، أو يعتقد فيه الإقدام على

المخالفة بحتاً ، فإن هذا كله خلاف ما تقتضي رتبته في الدين. ٢٧.

**** قلت :**

**** من أراد شيخاً بلا زلة فلا لا يزال علمه إلى قلة *****

ثم يقال :

وهل يُجزم بأن الإمام بان خزيمة -رحمه الله- ينفي أصل صفة الصورة عن

الله -عز وجل؟ بل غاية ما في المسألة أنه رأى أن نصاً بعينه ليس

دالاً على إثباتها ، مع كون صفة الصورة ثابتة من الأدلة الأخرى .

ولو تنزلنا وقلنا أنه لا يقول بأصل ثبوتها ، فقد أثبت -رحمه الله- سائر

صفات الرب على طريقة السلف ، وبهذا يتبين لنا أصل من الأهمية بمكان

، ألا وهو أن ما وقع من اختلاف بين السلف في مسائل الاعتقاد -على

قلتها - إنما هو " اختلاف في التطبيق ، وليس اختلافاً في التأصيل "

^{٢٦} بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٦/٤١٠)

^{٢٧} الموافقات (ص/١٣٧)

^{٢٨}بمعني : أنهم مع اتفاقهم على أصل إثبات الصفات لله تعالى ، فد

يختلفون في نص ما : هل هو من نصوص الصفات ، أم لا ؟؟

***** الفائدة الأخيرة :**

في حديث الباب دلالة واضحة على إبطال نظرية داروين التي نصت

على مسألة تطور الجنس البشري ، وأن الإنسان أصله قرد .

وهي نظرية كاذبة خاطئة قد لفظتها كثير من الجامعات في الخارج .

فما نصت عليه هو كلام منكر وباطل ومخالف لكتاب الله عز وجل وسنة

رسوله عليه الصلاة والسلام وإجماع سلف الأمة.

وقد اشتهر هذا القول عن المدعو داروين وهو كاذب فيما قال، بل أصل

الإنسان هو أصل الإنسان على حاله المعروفة ليس أصله قردًا ، بل هو

أصل الإنسان آدم -عليه السلام - الذي خلقه الله من تراب كما قال جل

وعلا : **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ** [المؤمنون: ١٢]

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " **خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَطُوَلَهُ سِتُونَ ذِرَاعًا،**

فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى

الآن. ^{٢٩}

فهو مخلوق من التراب، خلقه الله على صورته، طوله ستون ذراعًا في

السماء، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن.

فهو مخلوق على هذه الصفة التي نشاهدها فأولاده كأبيهم مخلوقون على

خلقة أبيهم، وليسوا على شكل القردة، بل القردة أمة مستقلة لها خلقتها

ونشأتها وخصائصها .

**** وعليه فالأظهر -والله أعلم - أن من قال بهذه النظرية الكاذبة بعد علمه**

^{٢٨} كاختلافهم -مثلاً- في إثبات صفة الشمال لله عز وجل ، مع أصل اتفاقهم على إثبات صفة اليد لله

تعالى . واختلافهم في رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- لربه ليلة المعراج ، مع اتفاقهم أن الله

- تعالى - يُرى في الآخرة .
^{٢٩} أخرجه البخاري (٣٣٢٦)

بما جاء به الشرع أنه يكون كافرًا؛ لأنه مكذب لله ورسوله، مكذب للكتاب
والسنة إجماع الأمة .

****يؤيده :**

لو كان الأمر كما قال صاحب تلك النظرية لما جعل الله -تعالى- مسخ من
تحايل على شرعة عقوبة رادعة ، قال تعالى (فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ

قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) (الأعراف/ ١٦٦)

. تم بحمد الله .